علم مقارنة الأديان

م.د.محمد علي قاسم محمد علي
قسم التعليم المهني/الرصافة الاولى
mqasim@ouc.edu.iq

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين وبعد ...

لقد تطرقت في هذا البحث الى موضوع مهم ألا وهو علم مقارنة الاديان ، حيث ابتدأت بتعريف الدين لغة واصطلاحا ، وتعريف الغرب له والمستشرقين ، ثم قمت بتعرف علم المقارنة وكذلك نبذة مختصرة عن تأريخ نشأته واسبابه وتسميته وكيفية نشأته ، ثم وضحت طبيعته ومناهجه وكيفية تطوره على مر الزمان والمراحل التي مر بها وهي :

- مرحلة التكوين
- مرحلة التدوين
- مرحلة الظهور والاستمرار في الوجود
- مرحلة الهبوط والاختفاء
- عودة علم مقارنة الاديان الى الساحة الاسلامية

ثم بعد إكماله ذكرت الخاتمة وبعدها اهم المصادرالتي ساعدتني في كتابة هذا البحث،والحمد لله رب العالمين .

الكلمات المفتاحية: علم المقارنة ، الاديان

Abstract

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God and his good and pure family, and after...

In this research, I touched on an important topic, which is the science of comparative religion, where I began by defining religion in language and terminology, and the definition of it by the West and orientalists, and then I got to know comparative science as well as a brief overview of its history, its causes, its name, and how it originated, then its nature, methods and how it developed over the course of time. The time and the stages it went through:

- Formation stage
- Writing stage
- The stage of emergence and continuity of existence
- - The stage of decline and disappearance

- The return of comparative religion to the Islamic arena

Then, after completing it, I mentioned the conclusion, and then the most important sources that helped me write this research and thank Allah the god of everything .

Key words: comparative science, religions.

تمهيد

قبل الدخول في معرفة وتعريف هذا العلم لا بدَّ لنا أن نعرف أولاً مفهوم الدين لان الدين له معاني كثيرة منها :

الدين هو ما له أجل ، كالدِّينة بالكسر ، وما لا أجل له ، فقرض ، والموت وكل ما ليس حاضراً ، والدين بالكسر هو الجزاء (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ ، ص١٢٠٧)

وأيضاً الدين في اللغة بمعنى الطاعة أي انقادوا وأطاعوا وقوله " كما تَدِينُ تُدانُ " أي كما تأتي يُؤتى إليك ، وايضاً يأتي بمعنى القضاء (وان الدين لواقع) (الصاحب بن عباد الطالقاني، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م ، ص٢٤٣)

ومعنى الدين عند المسلمين هو:

وضع إلآهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل (د. طارق خليل السعدي ، ٢٠٠٥ م ، ص٩)

هو وضع إلهي يُرشد الى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات (نفس المصدر السابق)

اما الغربيون فيعرفون الدين بما يأتي :

شيشرون : الدين هو الرباط الذي يصل الانسان بالله (د: محمد عبد الله دراز، ١٩٥٢م ، ص٣٤)

كانت: هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر إلهية (نفس المصدر السابق)

ويُطلق لفظ الدين ايضاً على الاعتقادات الوثنية مثل عبادة الاوثان او الحيوان او النبات او قوى الطبيعة وحتى ديانات اليونان والرومان والمصريين القدماء والزرادتشية ، قال تعالى :

" ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين "(آل عمران آية٨٥)

وقوله تعالى " لكم دينكم ولي دين " (الكافرون آية ٦)

ولكنها أديان غير إلهية وليست مؤيدة بالوحي لذا كانت كاذبة وكافرة بالله ، أما الاسلام في التعبير القرآني فهو اسم للدين المشترك الذي هتف به جميع الانبياء وانتسب إليه كل اتباعهم ٠

فنبي الله نوح (عليه السلام) يقول لقومه " فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين " (يونس آية ٧٢)

ويقول نبي الله يعقوب (عليه السلام) يُوصي بنيه :

" ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (البقرة آية ١٣٢)

ويقول نبي الله موسى (عليه السلا م) لقومه :

" وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا أن كنتم مسلمين " (يونس آية ٨٤)

والحواريون يقولون لعيسى (عليه السلام) :

" فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون " (أل عمران آية ٥٢)

فالاسلام هو التوجه الى الله سبحانه وتعالى في خضوع خالص لا يشوبه شرك ، وفي ايمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أي لسان ، وفي أي زمان

ومكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه سبحانه وتعالى ، أو بين رسول من رسله فهكذا يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " (البينة آية ٥)

المبحث الاول : علم مقارنة الاديان

المطلب الاول : تعريف علم مقارنة الاديان

إن علم مقارنة الأديان من العلوم الهامة في تكوين الداعية علمياً وقد جاء في اللغة : قَرَنَ : قَرَنَ بـ يُقرُن و يُقرِن ، قِراناً فهو قارن ، والمفعول هو مَقرون(للمتعدي)، قَرَنَ بين الزوجين : زوَّجهما ، جمع بينهما بالعقد ، قَرَن بين الحج والعمرة : قرن الحج بالعمرة : وصلهما ، جمع بينهما في الاحرام قارن يُقارن ، قراناً ومقارنة ، فهو مقارِن ، والمفعول مُقارَن (للمتعدي)

قارن الشخص : صاحبه واقترن به ، قارن الشيء بالشيء : قارن بين الشيء والشيء : وازنه به ، قابل بينهما (د: احمد مختار عمر، ٢٠٠٨ م ، ص١٨٠٥) ، مُقارَن (مفرد) : اسم مفعول من قارن ، ويقال الادب المقارن (نفس المصدر السابق ص١٨٠٦)

ويعني علم مقارنة الاديان بدراسة نقاط الاتفاق والافتراق ، التشابه والاختلاف بين مضامين الاديان السماوية وتعاليمها ودراسة الواقع التاريخي والاجتماعي لكل منهما وما قد يكون اضفى

عليها من خصوصيات ربما يكون من ابرزها لغة الديانة واسلوبها في الخطاب ومدى اتساع وشمول احكامها التشريعية (د: صائب عبد الحميد ، ص٥)

المطلب الثاني : النشأة والتسمية

الدين ضرورة حياتية يطبع الانسان ويسير حركة حياته ونمائه على وفق قواعده والتدين موقف اساسي من مواقف القيم الانسانية بل من اعظمها والتي لا مندوحة له إلا به . فنجد عبر الحقبة التاريخية للإنسان أنه لا يوجد قوم عاشوا من دون أن يتدينوا بدين أو ينقادوا إلى رسوم وطقوس ، لذلك فالفكرة الدينية منتشرة بين جميع الشعوب والأقوام البدائية والمتحضرة، كالبابلين الذين عبدوا (بعل وعشتار) والسومرين الذين عبدوا (انوو انليل) والفرس الذين عبدوا (امهورامزدا) والهنود الذين عبدوا (برهما ، سيفا ، بوذا...) ولهذا ذكر مؤرخو الحضارات وتاريخ الأديان كبنيامين كوستان (أن الدين من العوامل التي سيطرت على البشر وأن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة ، ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى ذهننا فكرة الدين) (المستشرق جيب ، ١٩٨٩ ، ص ١٢) .

أما إذا رجعنا الى نظرة الكتب السماوية (التوراة والانجيل والقرآن) فأنها تؤكد على هذه الحقيقة السرمدية ، فأن القرآن يؤكد أن الإنسان أول ما خُلق خُلق لدافع ديني " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (الذاريات آية ٥٦)

(وان من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الاديان ، وسنرى أن مفكري الغرب يعترفون بذلك ، ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الاسلام لأن الأديان قبل الاسلام لم يعترف أي منها بالاديان الاخرى ، وكان كل أهل دين

وأتباعه يعدون ما سواه من الاديان والافكار هرطقة (لجنة العلماء والاكاديميين السوفياتيين ، ١٩٨٥ ، ص٥٥٨) وضلالاً وحسبك أن تتذكر موقف اليهودية من المسيحية ومن المسيح ، ومن ثم موقف المسيحية من اليهودية واليهود) (د: احمد شلبي ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤)

فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالمسيح وعُدَّ المسيح ثائراً استحق عندهم الحكم بالاعدام، والمسيحية عدَّت نفسها وريثة اليهودية ولم ترَ مع وجودها وجوداً لليهودية

ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية والبوذية من الهندوسية ومثله موقف المسيحية من الاسلام بالاندلس بل وصل الامر الى اكثر من ذلك ، إذ أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الاخرى المنتسبة لنفس الدين وعدَّت اتجاهاتها هرطقة وضلالاً ، وربما حكمت كل منها بالإعدام على اتباع سواها ٠

وهذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الاديان وبين المذاهب ولهذا قال الدكتور احمد شلبي في كتابه مقارنة الاديان (ومن هنا لم يوجد علم مقارنة الاديان قبل الاسلام ، لان المقارنة نتيجة للتعدد ولم يكن التعدد معترفاً به عند احد ، فلم يوجد ما يترتب عليه وهو المقارنة) (نفس المصدر السابق ، ص ٢٤)

وجاء الاسلام وكان موقفه بالنسبة للأديان الاخرى ينضوي تحت اتجاهين :

الاتجاه الأول : الناحية النظرية

الاتجاه الثاني : الناحية الواقعية

فمن الناحية النظرية يُعلن الاسلام أنه الحلقة الاخيرة في سلسلة الاديان ، وأنه بالتالي ورث أهم ما في الاديان السايقة وفضلاً عن ذلك ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين (نفس المصدر السابق ص٢٤-٢٥)، قال تعالى :

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب " (الشورى آية ١٣)

وبذلك يصبح الاسلام هو الدين الوحيد الذي لا دين سواه قال تعالى :

" ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب " (آل عمران آية ١٩)

وقال تعالى " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (آل عمران آية ٨٥)

ويجمع المفكرون المسلمون على أن كل رسول جاء برسالة تناسب زمانه وتحقق اغراضها في ذلك الزمان ، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة في أصل الوحدانية الكبير ويختلف في فروعه تبعاً لحاجات الناس

وهذا هو موقف الإسلام بالنسبة للاديان السابقة ، بالنسبة لحاضر البشرية ومستقبلها ، ويتجه المفسرون المسلمون في تفسير قوله تعالى :

" الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ، من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام " (آل عمران الآيات ٢-٤)

إلى أن الكفر بأي كتاب من الكتب المشار اليها في الاية الكريمة فيكون موعوداً بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة (الطبرسي ، ٢٠٠٥ م ، ص ٣٩٤) واذا كان هذا هو موقف الاسلام بالنسبة

للأديان الأخرى من الناحية النظرية فإنه من الناحية الواقعية يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير مسلمة ، ويتحدث عن أهل الكتاب وأهل الذمة ، وينظم حقوقهم وواجباتهم ، وفي ضوء هذا وجد علم مقارنة الاديان (الدكتور احمد شلبي ، ١٩٩٧م ، ص٢٨-٢٩)

المطلب الثالث : اسباب نشوء العلم

هناك اسباب متعددة ادت الى نشوء هذا العلم نذكر منها :

الحرية الفكرية في الإسلام : فكان الخليفة المأمون مثلا يعقد المجالس للمناقشة فى الأديان والمذاهب والفرق وكان أستاذه فيها أبا الهذيل العلاف

تسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الكتاب : فقد كان لتسامح الإسلام وبخاصة مع أهل الكتاب وتقريره لمبدأ لا إكراه فى الدين أثره فى دفع المسلمين للتعرف على الأديان الأخرى ومناقشتها ٠

الدفاع عن الاسلام بوصفه الدين الحق ومواجهة تحديات الأديان الأخرى كتابية كانت ام وضعية ، ولا شك أن هذا السبب يُعد السبب الحقيقي لنشأة هذا العلم حيث كان الغرض الحقيقي من المناقشات والجدل حول الديانات هو إظهار أن الدين الصحيح هو الإسلام ٠

وعُرفت جذور هذا العلم قديما ولأول مرة في الفكر الإسلامي، بأسماء متنوعة وبمناهج عدة؛ لكنها فردية غالبا، وتهدف غالبا إلى إبراز مكانة الإسلام بين الأديان، فهو مرتبط بالتبرير والدفاع والدعوة إلى الله. فقد تناول القرآنُ الكريم

فيما تناول دين الإسلام وأديان غير الإسلام بالحديث بين دفتيه؛ فتنبه المسلمون إلى دراسة الأديان جميعا؛ وعرف ما كان شأنه في دراسة مفردات "الأديان والعقائد" في العالم الإسلامي بمسميات عدة؛ فقد عُهد الوقوف عليه في كتب أصول الدين والعقائد، من باب الرد على المخالف، ومن صوره: الآراء والديانات، وصف الأديان. وعرف أيضا باسم الملل والنحل بيانا ووصفا، وهو يعرف الآن بمسميات -ستأتي- تكاد تتفق الرؤية الإسلامية مع غيرها في التسمية .

المطلب الرابع : طبيعة العلم

عن حقيقة هذا التخصص فإن علم دراسة الأديان يعرف بأنه علم يهتم بدراسة دين أو دينين أو أكثر، أو دراسة عنصر من عناصر دين أو أكثر لغرض الوقوف على حقيقتها كما هو عند معتنقيها بمنهج موسوم واضح.

ومن هنا ينطلق هذا العلم من تعريف الدين نفسه، والمقدمات المهمة في الحقل ومن ثم التطرق لفلسفة الأديان والأهداف التي تلعبها الأديان في العالم والشعوب والسياسات والعلاقات. على أن مسألة تصنيف الأديان من المقدمات المهمة في الباب. وأن من أهم عناصر هذا الحقل إبراز المناهج الموضوعية المختلفة في دراسة الأديان. وبالطبع فإن دراسة أديان العالم عقيدة ومؤسسات وكتبا وتاريخا من لب التخصص. ومن أهم قضايا هذا الحقل ربط الأحداث والمواقف وظواهر الحياة بالأديان، من مثل المرأة في الأديان، أو الحرب في الأديان، أو حقوق الإنسان الحرية الدينية أو الاعتقادية، موقف الأديان من العلم وبناء الحضارات، وحوار الأديان.. وما إلى ذلك ٠

المطلب الخامس : مناهج العلم

تتنوع المناهج العلمية في دراسة الاديان عند المسلمين المتقدمين والمعاصرين فمنهم من نهج المنهج التأريخي ، ومنهم من نهج المنهج الظاهراتي ، ومنهم من نهج المنهج التحليلي ، ومنهم من نهج المنهج الجدلي ، ومنهم من نهج منهج المقارنة ، ومنهم من جمع بين المنهجين التاريخي التحليلي ، والمنهج التاريخي النقدي ، والمنهج التحليلي النقدي وهكذا

فالامام ابو الحسن الاشعري (ت٣٣٠ هـ) في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) قد حاول قدر الامكان أن يصف مقالات واعتقادات الفرق المنسوبة الى الاسلام كما هي فقد ذم من يصفها بالتفريط والافراط ، فقال مثلاً :

(فانه لا بد لمن اراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ، ويصنفون في النحل والديانات ، من بين مقصِّر فيما يحكيه ، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه ، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية اراد التشنيع على من يخالفه ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ومن بين من يضيف الى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك وترك الاطالة والإكثار وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته) (ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، ١٩٩٠ م ، ص٣٣)

وكذلك نرى أن الامام الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) في كتابه (الملل والنحل) اهتم بالرجوع الى مصادر أهل الديانات للدراسة عن الاديان حيث قال في المقدمة :

(لما وفقني الله تعالى الى مطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل والأهواء والنحل ، والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن اجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون ...) (الشهرستاني ، ١٩٩٢م ، ص٣)

ثم قال في آخر كتابه : (هذا ما وجدته من مقالات أهل العالم ونقلته على ما وجدته ، فمن صادف فيه خللاً في النقل فأصلحه أصلح الله عز وجل حاله ، وسدد أقواله وأفعاله ...) (نفس المصدر السابق ، ص ٧٣٢)

وقد نهج البيروني (ت ٤٤٠هـ) في كتابه (تحقيق ما للهند) المنهج الظاهراتي أو المنهج الأنثروبولوجي (على تعبير علماء المعاصرين) ومن الاقوال التي تبرز منهج البيروني الظاهراتي هي :

(انما صدق قول القائل ((ليس الخبر كالعيان)) لان العيان هو ادراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله) (البيروني ، ١٩٥٧م ، ص١ و ص٥)

أما العامري (ت ٣٨١هـ) فقد نهج منهج المقارنة النقدية وذلك في كتابه(الاعلام بمناقب الاسلام) إذ قال :

(إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صواباً وقد يكون خطأ، وصورة الصواب معلقة بشيئيين : احدهما : ألا يوقع المقايسة إلا بين الاشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه ، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك. والآخر: ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها) (ابو الحسن العامري ، ١٩٨٨م ، ص١٢٥)

ومن المؤلفات التي تنهج منهج التحليل التاريخي النقدي الجدلي هي (التمهيد) للباقلاني، و(الفرق بين الفرق) للبغدادي، و(الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل) لابن حزم الاندلسي ٠

المبحث الثاني : تطور علم مقارنة الأديان

إن علم مقارنة الأديان قد مرَّ بمراحل عديدة شأنه ذلك شأن بقية العلوم الاسلامية بل العلوم كلها على الاطلاق وهذه المراحل قد قسمها الباحث احمد عبد الحميد مهدي(باحث في كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية – قسم الدعوة واصول الدين – شاه علم – ماليزيا) في بحثه (تاريخ وتطور علم مقارنة الاديان) الى خمسة مراحل ونحن سنذكرها لما تتمتع به من شمول وهي :

مرحلة التكوين

مرحلة التدوين

مرحلة الظهور والاستمرار في الوجود

مرحلة الهبوط والاختفاء

عودة علم مقارنة الاديان الى الساحة الاسلامية

المطلب الأول : مرحلة التكوين

إن هذه المرحلة هي نفس مرحلة النشأة التي تكلمنا عنها سابقاً في المبحث الأول (المطلب الثاني) إذ قلنا إن المسلمين هم الذين ابتكروا هذا العلم لأن هذا العلم لم يظهر قبل الاسلام وذلك لان الاديان قبل الاسلام لم يعترف أي منها بالآخر ، فنحن نعرف أن اليهودية أنكرت المسيح انكاراً تاماً لأن المسيح عندهم له شروط وهذه الشروط لم تنطبق على نبي الله عيسى (عليه السلام) فهم إلى الآن ينتظرون المسيح المنتظر في اليهودية .

وعندما قام المسيح بدعوته ضد العنف والكراهية والحقد والبغضاء داعياً الى المحبة والسلام والإخاء بين الناس وقد ثار اليهود على دعوته ورسالته واعلنوها حرباً شعواء اتسمت بالمكر والخبث والغدر وانتهت مؤامراتهم بالوقيعة بينه وبين الحاكم الروماني وادَّعوا عليه بأنه ثائرٌ على الحاكم الروماني وانه يسعى لتكوين حزب سياسي هدفه التخلص من الاستعمار الروماني وانه يُمهد ليكون حاكماً على اليهود ، ومن هذه المؤامرات ما ورد في انجيل متى عندما سأله اليهود بخبث للوقيعة بينه وبين السلطة الرومانية فقالوا له :

أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ نعطي ام لا نعطي ؟ فعلم رياءهم وقال لهم : " لماذا تجربونني ؟ إئتوني بدينار لأنظره ، فأتوا به ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر ، فأجاب يسوع : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فتعجبوا منه (انجيل مرقس ١٧– ١٢: ١٢)

ولم يقف الأمر عند حد التآمر عليه بل تطاولوا عليه كما تطاولوا على الانبياء قبله واتهموه بالكذب والتضليل والجنون والشعوذة وطعنوه في نسبه فقالوا : إنه ابن غير شرعي حملته أمه

وهي حائض ، وجاء في التلمود : إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار وان أمه مريم أتت به من العسكري بندار بمباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة (احمد شلبي،ص٢٧٩)٠

ومثل ذلك أيضاً موقف الهندوسية من البوذية والبوذية من الهندوسية ومثله موقف النصرانية من الاسلام والمسلمين في الاندلس ٠

اذن علم مقارنة الاديان لم يُوجد قبل الاسلام لان المقارنة نتيجة التعدد وهذا التعدد لم يُوجد قبل الاسلام حيث إن كل دين ومذهب لا يعترف بالآخر ، وعندما جاء الاسلام انبثقت جذور علم مقارنة الأديان لان الاسلام اعترف بالاديان السابقة حيث أن القرآن الكريم يضع جذور هذا العلم قال تعالى :

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا باللتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وانزل إليكم وإلهنا وألهكم واحد ونحن له مسلمون " (العنكبوت آية ٤٦)

فالمجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم وقد وردت الكثير من آيات القرآن الكريم تحمل معنى المقارنة كقوله تعالى :

" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون "(الانبياء آية ٢٢)

ففي الآية القرآنية الكريمة مقارنة بين التوحيد والتعدد وبيان أن التعدد يسبب الفساد وايضاً قوله تعالى :

" لإمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون " (النحل آية ١٧)

ففي الآية القرآنية الكريمة مقارنة ايضاً فالخالق الأعظم لا يمكن أن يماثله هذا النوع من الألهة التي لا تستطيع أن تخلق ذباباً ولو اجتمعت هذه الآلهة لخلقه ، والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تدل على المقارنة نذكر منها

قوله تعالى :

" وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " (الانبياء آية ٧)

وقوله تعالى :

" من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا " (النساء آية ٤٦)

وقوله تعالى :

" أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (النساء آية ٨٢)

كما أن القرآن الكريم تحدث عن كثيرٍ من الاديان سماوية كانت ام وضعية وتحدث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية وتحدث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة وسماهم القرآن أدياناً مع بطلانها (د: طارق خليل السعدي ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢٦)

قال تعالى " لكم دينكم ولي دين " (الكافرون آية ٦)

أما الحديث الشريف فنجد أن رسول الله (ﷺ) قد أهتم بعلم مقارنة الأديان كما تفيد الاحاديث وكتب السيرة وقد أوردت السير محاورات رائعة بين الرسول الأكرم (ﷺ) وبين عدي بن حاتم الطائي الذي كان قد اعتنق المسيحية وهي تُعد دراسة جيدة في علم مقارنة الأديان وقد إنتهت بأن أعلن عدي دخول الاسلام وتبعه قومه (ابن عساكر ، ص٢٠٠ – ٢٠١ أبضا ابن كثير ، ص١٢٨ – ١٢٩) .

كما وجرت مناقشات كثيرة بين الرسول (صلى الله عليه واله) وبين اليهود حول الكتب المقدسة وكان محسور بن سبحان (لم اجد ترجمة له) هو المتحدث عن اليهود وقد سأل هذا رسول الله (ﷺ) سؤالاً هو :

ما دليلك على أن القرآن من عند الله ؟ فجاء الجواب من الله " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (النساء آية ٨٢)

كما وجرت ايضاً مناقشات اخرى بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين وفد نجران من النصارى ، وعلى أثر هذه المقارنات والمجادلات الدينية الهادئة دخل الاسلام من اليهود بعض قاداتهم مثل عبد الله بن سلام ، ثعلبة بن سعيد ، اسد ابن عبيد ، كما دخل الاسلام كثير من نصارى نجران (د : احمد شلبي ، ١٩٨٨، ص ٢٧)

وعندما التقى المسلمون بالمسيحين في الاندلس وصقلية والشام حصل تبادل للافكار ، وكان علم مقارنة الاديان من الموضوعات التي تم التبادل فيها وقد تخلى

المسيحيون عن اتجاههم في عدم اللجوء لهذا العلم فأخذوا يهتمون بمقارنة الأديان كوسيلة للتعرف بالمسيحية وللنيل من الاسلام واقتبس المسلمون . للأسف – اتجاه المسيحيين وهو التعصب فتخلوا عن علم مقارنة الاديان بأعتبار أنه ليس هناك دين يُقارن مع الاسلام وَعَبَرَ

الأزهر عمره الطويل وَعَبَرَت الكليات الاسلامية اعمارها دون أن يكون علم مقارنة الاديان في المناهج الدراسية ، ولم يتدارك المسلمون هذا النقص إلا منذ عهد قريب ٠ (د: احمد شلبي، ١٩٧٣، ص٢٨)

وينسب آدم متز نشأة هذا العلم للمسلمين ويعدد المصادر الاولى التي كتبها المسلمون فيه فيقول في كتابه (عصر النهضة في الاسلام) :

(كان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى وهو تسامح لم يُسمع بمثله في العصور الوسطى سبباً في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم مقارنة الاديان) (د: طارق خليل السعدي ، ٢٠٠٥ م ، ص٢٨)

ويقرر كذلك أن نشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحط من الأديان الاخرى وإنما كان دراسة وصفية علمية تؤدي الى نتائجها .

المطلب الثاني : مرحلة التدوين

لما جاء عصر التدوين في منتصف القرن وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الاديان فهو بذلك علم اسلامي كباقي العلوم الاسلامية ومن المشاهير الذين كتبوا في هذا العلم هم :

النوبختي المتوفي سنة (٢٠٢ هـ) ألف كتابه (الآراء والديانات) ويُعد الباحثون هذا الكتاب اول كتاب في علم مقارنة الاديان .

والف المسعودي المتوفي سنة (٣٤٦ هـ) كتابين في الديانات الاول (المسائل والعلل في المذاهب والملل) ، والثاني (سر الحياة) .

والمسيحي المتوفي سنة (٤٢٠ هـ) كتب كتابه (درك البغية في وصف الاديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة .

وكثر التأليف بعد ذلك في هذا المجال ومن ابرز المؤلفين الذين كتبوا في هذا المجال هم :

ابو الحسن العامري المتوفي سنة (٣٨١ هـ) ألف كتابه المشهور (مناقب الاسلام)

ابو الريحان البيروني المتوفي سنة (٤٢٥ هـ) ألف كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)

ابو منصور البغدادي المتوفي سنة (٤٢٩ هـ) ألف كتابه (الملل والنحل) وردَّ فيه على الملل والنحل مدافعاً عن الاسلام

ابن حزم الاندلسي المتوفي سنة (٤٥٦ هـ) ألف كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل)
الشهرستاني المتوفي سنة (٤٥٨ هـ) ألف كتابه (الملل والنحل)
احمد بن تيمية المتوفي سنة (٦٢٨ هـ) ألف كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)
ابن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١ هـ) ألف كتابه (هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى)
الشيخ عبد الله الترجمان ألف كتابه (تحفة الآريب في الرد على اهل الصليب)
الشيخ رحمة الله الهندي وكتابه (اظهار الحق)

وهذا قليل من كثير ألفه القدامى في مجال الملل والنحل وفي عهد الخليفة هارون الرشيد وُجدت ترجمة للتوراة والانجيل قام بها احمد بن عبد الله بن سلام بن خليفة وربما كانت هناك ترجمات عربية اخرى لم تصل الى علمنا قام بها الذميون من اليهود والنصارى يستعينون بها في اداء عباداتهم والتفقه في دينهم .

وفي عهد الخليفة المأمون عقدت مجالس للمناقشة في الاديان والمذاهب والفرق وهذا إن دل فأنما يدل على تطور الدراسات في المقارنات بين الاديان .

المطلب الثالث : مرحلة الظهور والاستمرار في الوجود

في هذه المرحلة تطور علم مقارنة الاديان تطوراً كبيراً وكثُرت فيه الابحاث والدراسات والمؤلفات وخاصة في القرن الثالث الهجري والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن حتى القرن التاسع نجد فيه كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) الذي ألفه عبد الله الترجمان سنة (٨٢٣ هـ) (احمد عبد الحميد مهدي ، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة المدينة العالمية ، شاه علم ، ماليزيا)

المطلب الرابع : مرحلة الهبوط والاختفاء

بعد قرون من النشاط والحركة تسرب الضعف الى علم مقارنة الاديان مما ادى الى اختفائه وكان ذلك لاسباب عدة منها :

١- ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب وبعدد من الاطباء والوزراء من غير المسلمين فاستطاع هؤلاء بسبب نفوذهم أن يُسكتوا اصوات المتحدثين والمؤلفين في علم مقارنة الاديان لطعنهم في عقائدهم المنحرفة ولذا فقد ضعف هذا العلم .

٢- زحف الحملات الصليبية على الشرق الاسلامي وهؤلاء لا يعرفون تسامحاً دينياً ولا مجادلة بالحسنى فقابلهم المسلمون بالقوة فخفت صوت المجادلات والمحاورات التي يتولد منها علم مقارنة الاديان تحت صليل السيوف .

٣- غلبة الاشتغال في الفقه على الحركة العلمية في هذه المرحلة مما ادى الى تراجع اهتمام العلماء ودراستهم لعلم مقارنة الاديان والمذاهب .

٤- تبني بعض المسلمين الاتجاه الذي كان سائداً لدى اتباع الديانات الاخرى وهو عدم امكان المقارنة بين الاديان ، إذ لا يعترفون بغير دينهم وعليه فلا يعترفون بامكان المقارنة ، ودان بعض المسلمين بهذا الاتجاه وهاجموا علم مقارنة الاديان على اعتبار ان الاسلام لا يُقارن بسواه ونسى هؤلاء أن القرآن الكريم وكما بينا سابقاً هو الذي وضع جذور هذا العلم .

٥- عدم اهتمام الحكام في تلك العصور بالعلم والعلماء كما كان اسلافهم من قبل كالخليفة هارون الرشيد والمأمون والمعز لدين الله الفاطمي وغيرهم من الخلفاء والامراء الذين كانوا يكرمون العلماء .

المطلب الخامس : انتقال علم مقارنة الاديان الى الغرب

اذا كان المسلمون في عصور الظلام قد اهملوا علم مقارنة الاديان لسبب أو لآخر فأن موقف المسيحين من هذا العلم كان مختلفاً تماماً ، لان اللقاءات السلمية بين المسلمين والمسيحيين في مصر، و الشام والاندلس وصقلية عرَّفت المسيحيين بمقارنة الاديان ، واثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون اسسه ويحاولون الانتفاع به ٠

ثم جاء عصر الاستعمار وقرر الخبراء من المبشرين قرارات خطيرة ذات صلة بمقارنة الاديان هي :

أولاً : الإنسان به نزعة دينية في اعماقه مهما كان مادياً أو تظاهر باللادينية ٠

ثانياً : رباط الدين لا يقل عن رباط الدم والجنس ٠

ثالثاً : معرفة الداعي بدين المدعو واعتقاده ، يساعد كثيراً في التأثير عليه ٠

وبناءً على هذه الأسس زاد علم مقارنة الاديان بالغرب نشاطاً ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية ٠(د: احمد شلبي ، ١٩٩٧ ، ص٢٣-٢٤)

ومن دوائر المعارف في الاديان التي أصدرها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين ما يلي (الاستاذ الدكتور : محمد البهي ، ١٩٦٤ ، ص٢٨)

أ . دائرة المعارف الاسلامية : صدرت بعدة لغات حيَّة ويُعاد طبعها في الوقت الحاضر
ب . دائرة معارف الدين والاخلاق
ج . دائرة معارف العلوم الاجتماعية
د . موجز دائرة المعارف الاسلامية

وهناك اعمال كثيرة في الاديان غير هذه الاعمال ولا شك انهم قد نجحوا في اعمالهم واستطاعوا جذب انتباه المسلمين وقد استفاد المسلمون من هذه الاعمال بلا شك ، إلا اننا لا ننسى أن وراء هذه الاعمال اهدافاً اخرى تهدف في حقيقتها الى هدم الاسلام والمسلمين بوسائل لا تحصى وقد بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قال تعالى :

" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " (البقرة آية ١٢٠)

والمستشرقون من اليهود والنصارى داخلون في هذه الآية الكريمة فينبغي أن نكون على حذر عند الإطلاع على اعمال هؤلاء المستشرقين حتى لا نقع في شباكهم بدون وعي منا ، لانهم يدسون السم في العسل كما يقال .

المطلب السادس : عودة علم مقارنة لاديان الى الساحة الاسلامية

افاق المسلمون في العصر الحديث من غفوتهم بعد أن اهملوا هذا العلم واهتم به الغربيون وراحوا يحاولون استعادة الزمام مرة اخرى وان يُحيوا من جديد علم مقارنة الاديان ليكون سلاحاً في الحاضر كما كان سلاحاً في الماضي وقد قطع العلماء المعاصرون شوطاً كبيراً في هذه الدراسات وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هذا العلم وهم يقومون بالدعوة الى الاسلام وبدأت المؤلفات تظهر من جديد في علم مقارنة الاديان .

ولا شك ان الدراسة الواعية من قبل الدعاة والباحثين للخريطة العقدية للعالم المعاصر والالمام العميق باسرار هذه الديانات والمذاهب والنحل والاطلاع على مكامن ضعفها ووهنها وتناقضها وتهافتها لا شك ان كل ذلك يدفع حركة الدعوة الى الله ان تكون على بصيرة ويحركها من وجوه متعددة وعليه فحق للمسلمين ان يفخروا ويعتزوا بهذا العلم الذي يُعد ابتكاراً علمياً لم يسبقنا غيرنا اليه وقد دُون هذا العلم في القرن الثاني الهجري كغيره من العلوم ، والمؤلفات في ذلك خير شاهد ودليل واذ يتبين لنا

اصول هذا العلم وجذوره فلا معنى اذاً للتشدق مع هؤلاء المحدثين الذين يدَّعون ان هذا العلم انما يستمد اصوله من علوم الغرب ونقول لهؤلاء : أيهما اقدم حضارة وأيهما وجد اولاً ؟ الاسلام بعلومه واحكامه وآدابه وحضاراته أم هذه العلوم والمعارف التي وجدت حديثاً ؟

والجواب واضح وجلي حيث تبين لنا مما سبق أن الاسلام هو من اوجد هذا العلم فجذور هذا العلم تعود الى الدين الاسلامي ولم يسبقنا لهذا العلم احد ٠

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لهذا ، وأمدني من العون ما مكنني من إنجاز هذا العمل المتواضع ، الذي أضعه بين يدي القاريء الكريم ، راجياً من المولى تبارك وتعالى أن يعيننا جميعاً على الاستفادة منه ، وذلك بتقبل النصائح والتوجيهات ، واستقبال الانتقادات ، والتصويبات ، بقلوب شجاعة ، وعقول نيرة ، ونفوس على الحق صابرة وفي سبيله ماضية ، ومن أجله مضحية ، فما أرجوه من قارىء هذا البحث هو أن يدلني على الخطأ إن اكتشفه ، ويبصرني على العيب إذا لمحه ، ويوجهني إلى الصواب إذا رأني ملت عنه ، وأخذت مسلكاً غيره ، وحدت عن طريق الحق وتنكبت عن العلم الذي ينفع الأمة ، ويسدد خطاها ، ويعينها على استعادة عافيتها، حتى تعود لأداء دورها في العبادة ، والإعمار ، والإنقاذ ، والتعارف كما أمر المولى تبارك وتعالى ٠

وهكذا لكل بداية نهاية ، وخير العمل ما حسن آخره ، وخير الكلام ما قل ودل وبعد هذا الجهد المتواضع ، أتمنى أن أكون موفقا في سردي للعناصر السابقة سردا لا ملل فيه ولا تقصير ،موضحا الآثار الإيجابية والسلبية لهذا الموضوع الشائق الممتع وفقني الله وإياكم لما فيه صالحنا جميعا

المصادر

القرآن الكريم

انجيل مرقس

١- ابو الحسن العامري ، *الاعلام بمناقب الاسلام* ، تحقيق : احمد عبد الحميد غراب ، الرياض ، دار الاصالة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٢- (ابو حيان الاندلسي) محمد بن يوسف ، *البحر المحيط* ، تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ج٢ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠١ م – ١٤٢٢هـ ٠

٣- ابن عساكر ، *تاريخ مدينة دمشق* ، مطبعة دار الفكر ، ج ٦٩ ٠

٤- ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ، *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو المرذولة* ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ٠

٥- د: محمد عبد الله دراز ، *الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان*، دار القلم كويت ، ط١، ١٩٥٢م – ١٣٧١ هـ ٠

٦- ابن كثير- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر *بن كثير* بن ضوء *بن كثير* بن زرع القرشي ، *السيرة النبوية* ، ج٤ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد

٧- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، *القاموس المحيط* ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ ٠

٨- الاستاذ الدكتور : محمد البهي ،*المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام* ، مطبعة الازهر ، ١٩٦٤ ٠

٩- الطبرسي ، مجمع *البيان في تفسير القرآن* ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين ، الجزء الثاني ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م الطبعة الثانية ٠

١٠- الصاحب بن عباد الطالقاني ، *المحيط في اللغة* ، تحقيق : محمد عثمان دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ج٣ ، ط١ ، ٢٠١٠م ٠

١١- المستشرق جيب ، *علم الاديان وبنية الفكر الاسلامي* ، ترجمة : عادل العوا منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، ط : ٢ ، ١٩٨٩م ٠

١٢- الاستاذ الدكتور : احمد مختار عمر ، معجم *اللغة العربية* ، ص١٨٠٥ ، ط١ ، عالم الكتب – القاهرة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ٠

١٣- الدكتور احمد شلبي ، *مقارنة الاديان ، اليهودية* ، ص٢٨-٢٩ ، ط١٢ ، ١٩٩٧ ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ٠

١٤- د. طارق خليل السعدي ، *مقارنة الاديان ، دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية ، اليهودية والمسيحية والاسلام والاديان الوضعية* ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م ٠

١٥- د: صائب عبد الحميد ، *مقارنة الاديان ، نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن* ، سلسلة المعارف الاسلامية ٠

١٦- الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل ، *مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين* ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت المكتبة العصرية ، ط١ ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م ، ج١ ٠

١٧- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، *الملل والنحل* ، تصحيح وتعليق الاستاذ محمد فهمي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، ج١٠